التباين الخلقي

وتأثير الارادة والذكاء والشعور فيهِ

قلما نجد توافقاً بين ميول الناس ونزعاتهم وما يخطون لانفسهم من الاغراض والغايات بل نرى فيها فروقات واضحة تميزهم بعضهم عن بعض ولو ضمهم وطن واحد او بيئة واحدة او عائلة واحدة . لقد يكون للابوين اربعة اولاد مثلاً تربوا كلهم تربية واحدة على ايدي اساتذة وفي بيئات واحدة او متشابهة وبالرغم عن وحدة البيئة ووحدة وسائل التربية والتعليم نجد عند كل منهم ميولاً خاصة بهِ يختلف فيها عن ميول اخوتهِ في كل شيء . فواحد يميل الى الاعمال الجدية يتفق فيها قواهُ وحياتهُ ويلذُّ بما يتحملهُ في سبيلها من كد او نصب او ألم ويهزأ بكل ما يقف امامهُ من المصاعب والمخاطر والاهوال ويعمل على تذليلها واحدة بعد اخرى ويستعين بذكائهِ وفكرهِ فيستنبط ويخترع ويكتشف سعياً وراء ما تصبو اليهِ نفسهُ من المطالب التي لاجلها همَّ ونشط وعمل . وآخر تراهُ على العكس من الاول يميل الى الهزؤ والاشياء التافهة التي لا تقدم ولا تؤخر وينفق شبابهُ وعمرهُ فيها الى ان يموت ضمن شاعر لحياتهِ مذاقاً ولا طعماً ولا شعر بهِ الناس ولا هو شاعر بهم فيذهب من الدنيا كأنهُ لم يك فيها يوماً من الاحياء . وثالث يميل الى الشعر او الادب او العلم او الفلسفة ويسيطر بذكائهِ على العقول فيجليها ، والارواح فيذكيها ، والاخلاق فيهذبها ويرقيها . ويغيرتهِ وطموحهِ يشعل ثورة فكرية منتجة في وطنهِ يجدد بها شبابهُ ويبعث فيهِ روحاً جديدة تستهويهِ لاستثمار عقول بنيهِ الى مجاراة الامم الحية الراقية في استغلال كنوز الارض والتمتع بآلاء الله ونعمهِ الكثيرة التي جعلها متاعاً حلالاً لمن أدرك من صيدو سر السعي والنشاط والاقدام والتفنن في التفكير والاستنباط والاختراع والابتكار . ورابع يكتفي بالقليل من الرزق ليسدَّ بهِ رمقهُ ويدفع عنهُ سغبهُ ويطفئ ظمأهُ ولا يكاد يفي بحاجتهِ اذا مسهُ المرض او اقعدتهُ تقلبات الدهر وتصرفات الحدثان . وعلى جزءٍ من مختلف الميول التي لا تعدُّ ولا تحصى والتي تتناقض وتتنافر وتتباعد في مقدماتها ومدى نتائجها وعواقبها وثمراتها بتناقض ما يصادفهُ صاحبها من الظفر او القهر من النجاح او الخيبة ومن الثراء او الفاقة ومن الراحة او العذاب . فيشتاق الناس بالضرورة لمعرفة علل هذا التباين الخلقي العظيم الشائع المشاهد بين بني البشر

﴿ الارادة ﴾ ورأيي ان هذا يرجع الى الارادة . هذه الارادة التي خلقها الله فينا لتكون بين اعضاء اشياعنا اشبه الاشياء بالملك الذي يسوس رعاياهُ اما بالحكمة واما بالجبروت . وهي بطبيعتها قابلة للتطور بل هي اشبه الاشياء عند بداية العمر بالورقة البيضاء تقبل كل ما يكتب فيها من صالح او طالح من ضار او نافع ومن طهر او رجس . ولا اجد أظهر لوصف تطورها من قول البوصيري :

والنفس كالطفل ان تهمله شب على حب الرضاع وان تفطمهُ ينفطم

فكما تحيى الارض بوابل المطر تحيى الارادات وتنمو وتكبر بالتربية والتهذيب والتعليم ولتأثيرهذه المؤثرات عديدة اهمها العادة والذكاء والشعور . ولما كانت العادات الشائعة بين الناس مختلفات اختلاف الذكاء والشعور في ارواحهم قوة وضعفاً كان من الصعب اتحاد الارادات اتحاداً كاملاً بالمعنى الصريح المفهوم من الكمال وان اتفقت على شيء معين او مبدإ او مذهب او دين او معتقد او خطة . اذ من البديهي ان الاتفاق على شيء محدود لا يفيد الاتحاد فيما عدا هذا الشيء المحدود المتفق عليهِ

فارادة توجه باعتقادها الى العلم فتوليه ايمانها وتنبذ كل حقيقة لا تأتي عن غيرهِ كالدين مثلاً . وارادة لا تؤمن الاَّ بتلك الحقائق التي اعتبرها كذلك الدين الذي تدين هي بهِ وتعبدهُ اذا هو جاء عن دين آخر لا توآمن بهِ او لانهُ جاء عن علم او فلسفة او اكتشاف موفق معها تسطع براهينهُ . وارادة مترددة لا تؤمن لا بالعلم ولا بالدين ولا باي شيء آخر وتقول عن كل شيء انها لا تدري بهِ وانهُ قد يجوز وقد لا يجوز وهكذا

وارادة قوية وارادة ضعيفة وارادة متوسطة بين القوة والضعف وارادة ثابتة وارادة متحركة وارادة حاكمة وارادة محكومة خاضعة لارادة الآخرين سواء كان فرداً او مجموعاً وارادة صريحة مطلقة حرة وارادة مقيدة وهكذا من مختلف المشارب والطبائع مما تشاهدهُ في البيئة التي نعيش فيها او نراهُ او نسمع عنهُ في رجال امتنا او الامم الاخرى عظماء كانوا او غير عظماء عاملين او غير عاملين

﴿ الذكاء ﴾ وما من فرد بلغت ارادتهُ ما بلغت من القوة والعظم الاَّ كان لذكائهِ وشعورهِ الفضل في تكوينها وتطورها الى ما قد يكون فيهِ . هذا ومن حسن حظ الانسان ان ذكاءهُ غير محدود لا في تألقهِ ولا في سيرهِ الى الامام . قد تعرقلهُ بعض الطوارئ الناجمة اما عن مرض او ضغط استبدادي تعطلهُ او تعيق سيرهُ فيكون ذلك الى حين . يكون ذلك الى ان يستعيد صحتهُ او يقوى على رفع اليد المستبدة الطاغية الظالمة التي لا

تقدر ما يحتاج اليهِ ذكاء الافراد من الحرية للقيام بما اعدهم الله لهُ من الرقي في معارج المصلحة العامة والخير العام اذا تضافروا وتعاونوا عليهِ فيما بينهم

فهذا الشباب الخالد الدائم الذي وهبهُ الله للذكاء الانساني يتجدد من حسن حظ العالم الانساني جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر وفي اقوام بعد اقوام بطريق التوارث والتوالي الى ما لا نهاية لهُ . وتتجدد بتجددهِ الحضارات والمدنيات على الارض و يتسع نطاقها ونطاق معارفها وعلومها ومخترعاتها واكتشافاتها على الدوام والاستمرار الى ان تعم بقاع الارض و يكون لها في النهاية ما يوقف الشرور عند حد محدود تصان فيها الارواح من الاذى وتنصرف الى مناشدة السلم العام تصل اليهِ بتغيير الانظمة الدولية الراهنة المجحفة بحقوق الضعفاء واستبدالها بغيرها مما يكفل للجميع عيشة مستطاعة فيها ينالون شيئاً من الرغد بقدر الامكان . ولا يظن ان الله وهبنا شعوراً ساوبا في كمهِ وحساسته لشعور الآخرين فقد يكبر و يعظم عند البعض و يتضاءل و يصغر عند الآخرين على ما تكون عليهِ اعصابهم من القوة او الضعف و بنياتهم من الصحة او الاعتلال ومداركهم من التربية والتهذيب والتعليم او حرمانها منها كلاً او بعضاً وعواطفهم من التحاب والتراحم فيما بينهم

﴿ الشعور ﴾ وكما ان للافراد وجوهاً وملامح تميزهم بعضهم عن بعض كذلك لكل منهم شعور قائم بهِ يستفزهم الى الخير متى تربوا عليهِ وخالطوا اهلهُ او الى الشر متى اعتادوهُ واعتادوا عشرة الشريرين او الفسقة او المتحللين او المفسدين . يتأثرون بشعورهم هذا فيعملون بهِ سواء في تخيل الاشياء ان على ما هي عليهِ وان على غير ما هي عليهِ او في تكوين الاراء والاحكام صائبة كانت او قريبة من الصواب ، طائشة او سديدة ضارة او نافعة كل بحسب استعداده المادي والادبي وبلغ ذكائهِ ونمو اعصابهِ واتساع معلوماتهِ واختبارهِ وما تركتهُ في نفسهِ مؤثرات البيئة والمناخ والطقس والعادات والشرائع والمعتقدات وما قد يكون فيهِ من حرية او استبداد ومن علم او جهل

ولكل مؤثر من هذه المؤثرات ، قوة لا ريب فيها تختلف باختلاف تأثيرها في النفس تدفع الى اتباع الشعور او اضعافهِ الى احيائهِ او اماتتهِ

وعلى هذا النمط وهذا الناموس تتكون الاراء في نفوسنا وتتكون اسبابها وتصدر على مقتضاها احكامنا في الاشياء التي تحيط بنا والتي تتأثر بها سواء همنا امرها او لم يهمنا منها شيء وذلك على ما تكون عليهِ ارادتنا المختلفة من القوة او الضعف كما اسلفنا الكلام عليهِ . فلا غرابة حينئذٍ اذ نرى بوناً واختلافاً ما بين رأي ورأي وحكم وحكم . فالنسبة

بين سداد الاراء وقوة الارادة وتألق ذكائها ثابتة محفوظة ملحوظة دواماً واستمراراً تبدو كناموس فطري ينظم حركات الانسان وحياتهُ تنظيماً منطبقاً على ميولهِ التي شب عليها يربط جواهر الارادة وتيارات الميول بارجحية الاسباب التي تتقدم حركاتنا الفكرية والعملية . و بقدر ما يكون فيها من نور وذكاء وعلم وخبرة بقدر ما يكون في تلك الاراء والافكار والاحكام التي تقررها من صواب وحكمة وعدالة وارجحية . فالنسبة محفوظة في جميع الاحوال بين قوة الارادة او ضعفها و بين صواب الافكار والافعال او خطلها . وعليهِ يبدو لنا الانسان حازماً او عاجزاً ، مدققاً او مفرطاً ، جاداً او هازلاً ، مقتدراً للحياة او مستخفاً بها بحسب ما يكون بارادتهِ من نور وقوة ومضاء وعزم او تكون محرومة منها . فان كانت ارادتهُ ثابتة على مبادئها القويمة قوية عنيدة في مطالبها النبيلة يتجلى لنا صاحبها كرجل اخلاق خليق بتقديرنا وتعظيمنا اما اذا تقلب وتغير فيها وتذبذب في خططهِ او كانت نياتهُ مريبة فاننا نغير رأينا فيهِ ونحكم عليهِ وبحال ان نسجل اسمهُ في قائمة اصحاب الارادات والاخلاق

عثمان مرتضى

بعض الشرائع بنات العقائد

اسباب تفاوت الميراث بين الذكور والاناث

أثبتُّ في مقالتي السابقة المدرجة في مقتطف مارس الماضي ان بعض العوائد بنات العقائد وسأوضح في مقالتي هذه ان بعض الشرائع بنات العقائد .

من اهم الشرائع للجنس الانساني شريعتان — الملك وهو اتصال شرعي بين الانسان و بين شيء يكون مطلقاً لتصرفهِ فيهِ وحاجزاً من تصرف غيرهِ فيهِ . والارث وهو انتقال الملك من السلف الى الخلف او من القريب الى الاقرب والعقائد سنّت هاتين الشريعتين

فبدأ الملك عند الاوائل مخالف لمبادئ الاواخر و بما ان المقدمات متخالفة فالنتائج متناقضة والشرائع المسنونة ماضياً وحاضراً متباينة فبعض القبائل لم تعرف للامتلاك معنىً و بعضها قبلت بهِ بعد عناء شديد وشق المرائر . وما كان سهلاً في بدء المجتمع الانساني ان يلتصق المرء بارض مدّعياً انها محصورة بهِ . وحتى الآن تجد قبائل من التركمان والسلاف باواسط اسيا رعاةً يعتبرون المواشي ملكاً والمراعي مباحة — وكان الجرمان كما ذكر بعض المؤرخين يرفضون بتّة امتلاك الاراضي وكانت قبائلهم تزرعها بالتناوب